((الشكوى والحنين في شعر عبد الإله الياسري))

(Complaint and Nostalgia in the Poetry of Abdul-Ilah Al-Yasiri)

يعقوب حميد عبيد

أ.م.د. عبد نور داود عمران

يدور هذا البحث في الكشف عن رموز الشكوى والحنين في شعر الشاعر العراقي عبدالإله الياسري، فالشاعر من شعراء العراق المحدثين الذين شكوا الواقع المرير، وضنكوا من مرارة النظام السابق، وعاشوا الغربة في المنفى ، وتألم حنينا وشوقا لبلده المنفي عنه، إذ تعتبر الشكوى صرخة عارمة تجاه المشاعر والأحاسيس المكبوتة والخائبة وتُفصح عن فقدان الصبر أمام النوائب والكوارث واستجابة للنفس المثقلة بالأحزان والمآسي، والحنين يعدُّ حالة شعورية تنبني على وجع وألم داخليّ يلمّ بالإنسان نتيجة أمر يستلزم الإبانة عن الصراخ والتعب والبكاء واليأس، والانكسار للوطن نتيجة تغرب الشاعر عن أرضه ووطنه وأهله.

Abstract:

This research revolves around revealing the symbols of complaint and nostalgia in the poetry of the Iraqi poet Abd al-Ilah al-Yasiri. Repressed and disappointed feelings and feelings and expresses the loss of patience in front of calamities and disasters and in response to the soul burdened with sorrows and tragedies, and nostalgia is an emotional state based on pain and internal pain that affects the person as a result of something that requires expression of screaming, fatigue, crying and despair, and the breaking of the homeland as a result of the poet's alienation from his land, homeland and his family. .

الكلمات المفتاحية : **keywords:**

الشكوى ، الحنين ، **ComplaintKnostalgiaK**

عبد الإله الياسري **Abd al-Ilah al-Yasiri**

المقدمة:

الحِنينُ مشاعرٌ إنسانية نبيلةٌ تدلُّ على الوفاء والانتماء، فمّن الناسِ من يحنُّ إلى أيام شبابه خصوصاً إذا ما أرهقهُ المشيب، ومنهم من يحن إلى وطنه؛ إذا غُيبَ في سجنه أو اغترب عنه[١]، والأخيرة قد عانى منها الشَّاعر عبد الإله الياسري كثيراً.

فحين تفرُ هرباً من الظلمِ والجور والاستبداد، والألم، والجوع، تتحول المأساة في نفوس الشعراء إلى معنى، والألام إلى لذة ، والآهاتِ والشجون إلى لحن يسافر في جرح الذاكرة[٢]، لقد سجلت ذاكرة الشاعرفي المهجر الكثير من المواقف ومن لحظات القسوة والألم، مما يعجز عن تصويرهِ الكثير من الوسائل التقنية والابتكارات السمعية والتصويرية، لقد حملت ذاكرة الشاعر كثيراً

من الآهات والغصات التي أطلقتها حناجرة، وأثقلت أغصان قصائده في شعر الشكوى والشوق والحنين بإختلاف الحالة وقلق اللحظات وخوف المكان وبرد المهجر.

لقد فرضت الأوضاع السياسية والأجتماعية على الشاعر عبدالإله الياسري حياة المنفى والأغتراب، فعاش حالة إقصاء روحي عن وطنه وأحبته، وهذا ماعانى منه الشاعر في مهجريهِ (المغربي والكندي)، فالحنين والغربة "موضوعان متلازمان في كل شيء فكراً وأدباً وشعوراً، فالإنسان ما ان يحس بغربته، ويشعر بتغير مكانه،حتى يبدأ حنينه الجارف لمكانه ومنزله الأول الذي ضاع منه، فشكى ذلك الضياع طويلاً"[٣]، وهذا الأبتعاد تولد في شعر الياسري ولغته لأن " اللغة في الشعرخاصة تتماز عن غيرها بالخروج عن القواعد المعيارية المعروفة والمرعية في الكلام غير الشعري"[٤]، لذا فإن حمى الشوق والحنين تبانُ جلية في هذا الخروج .

لقد جاءت قصائد الياسري وهو يقدّم لنا أنموذجاً من شكواه في بلدان المنفى وحنينه لبلده العراق إذ يقول:[٥] (من الوافر)

ربيعٌ في صحارى العمرِ قد رفّا

أم الأوهام تبدي خضرة زيفا؟

وعطفٌ أم خيالٌ لا أصدقه؟

لاني ماعرفت بتربتي العطفا

كأني عدتُ من سفرٍ إلى وطني

مطيلاً في العراقِ تأزمي ضيفا

كأن الرافدين، وكل أهلهما

نفوا حتى حسبتُ بلادي المنفى

ومن يفلت من السكين في بلدي

يصر حتى النواحُ بأذنه عزفا

أتتسعُ الرباطُ لنخلتي دعةً

وقد ضاق العراقُ بتمرها عسفا؟

يذكر الشاعر الياسري في مقدمة قصيدته أن هذه القصيدة لاتعكس صورة مأساتي الذاتية وحدها، بين شبح الوطن ومجهول المنافي، وإنما يجدها تعكس صور مآسي كل بني وطنه وبناته الذين تشردوا وتشردنَ مثله[٦]، نجد القصيدة حافلة بسيلٍ من الشكوى والحنين، ولحظات من الحزن القاتل يصورها لنا الشاعر عبدالإله الياسري في هذه القصيدة التي سماها(في رحاب المغرب)، فجاءت رموز الحزن والآلم والحنين متراكمة داخل النص مثل (دموعي، الأوهام، تأزمي، نفوا، المنفى، سأماً، السكين، النواح، مُتُ)، فهذه الرموز التي استعملها الشاعر خير دليل على مايعاني منه في غربته وحنينه للعراق، فقد نجح في توظيف هذه الرموز" ليحول القيمة الانفعالية إلى قيمة تعبيرية ؛ نتيجة الاستدعاء المتعمد للألم" [٧].

مانجده في قصيدته (حنين) هو أروع صور الشوق والحنين للوطن، ولعلّ اسم القصيدة وحده كافٍ ليكون رمزاً معبراً لحجم حنين الشاعرإذ يقول :[٨] (من الطويل)

تعبتُ ولم يتعبْ بأعماقي الحبُّ وشبتُ ولم يبلـغْ صباباتـي الشيـبُ

وأشغل جنحيَّ الزمانُ بغـربةٍ ولم ينشغلْ عمّن أحبُّ بـي القلـبُ

لئن غيبتني عن بلادي عصابةٌ ففي كل ليلٍ من حضوري بها شهبُ

بلادي بها جذري ومائي وطينتي وضوئـي وإنّي من قطافٍ بها اللـبُّ

إن اتسمتْ بِشراً فإني شفاهها وإن دمعت حزنـاً فإني لها هـدبُ

تمكـن الشـاعر مـن توظيـف عناصـر الطبيعـة بنجـاحٍ، النـابع مـن شـعور الشـاعر العميـق الـذي يكنـه لوطنـه، مـن خـلال اسـتعمال مجموعـة مـن الألفـاظ الرامـزة نحـو (جـذري، طينـي، مـائي)، فهـذه الرمـوز تـدلُ علـى أصـله فـي بلـده، وأصـل ثقافتـهِ ومنبعـه، وأصـل تكوينـه، وهـي تكشـف عـن حالـة العشـق والحنين التي تسكن الشاعر في غربته وتعتبر الوسيلة الأفضل للتعبير عمّا يحبس الشاعرُ في نفسه.

ثم يُعبَّر الشاعر عن مدى تعلقه وحنينه لبلده بقوله:[٩]

يسيرُ معي النخلُ الجميلُ وظلّه ويجثو معي النهرانِ والطينُ والعشبُ

نجـدُ الشـاعر قـد وظـف رمـز (النخيـل) لبلـده العـراق ، وهـذه دلالـة تفيـد بحقيقـة أشـتهار العـراق بالنخيـل، وأراد التعبيـر عـن مـدى تعلقـه ببلـده العـراق وكـأن يقـول يسـير معـي وطنـي حيـثُ أسـير، وكـذلك نجـدُ رمزيـة (الطيـر) التـي وظفهـا الشـاعر للتعبيـر عـن معاناتـه حيـث وجـد نفسـهُ مهـاجراً عـن موطنـه فمهمـا طار وابتعد يبقى الوطن في روحه ومشاعره، فهذا البعد مايزيدهُ إلاّ قرباً لبلده.

ويبلغُ الشوق والحنين ذروته حينما يقول :[١٠]

صُلبتُ بها ألفاً ومازال في دمي حنينٌ لعينيـها يطيبُ بـه الصلبُ

فقـد بلغـت المأسـاة ذروتهـا وهـو يقـدم نفسـه القربـان مـن أجـل ذلـك الحـب ، وماهـذا الإيثـار إلا بـدافع الحـب والحنـين الـذي تملـك علـى الشـاعرِ كيانـه ، وسـيطر علـى أحاسيسـه[١١]، بتوظيـف رمز(الصـلب) ولـيس لمـرةٍ واحـدة فقـط،، وهـو مـن الرمـوز الدينيـة التـي يسـتعملها الشـعراء المحـدثين عمومـا والرمزيـة خصوصا للتضحية من أجل أنقاذ البشرية وهذا الرمز الديني يعود لسيدنا المسيح(عليه السلام).

فـي مجموعتـه الشـعرية (جُـرح ومنفـى) نجـدُ العنـوان مفتاحـاً لقرأتهـا ونحـن نحـاول فهمهـا، فقـد جـرب فـي المنفـى مـايكفي مـن وريقـات عمـره التـي تسـاقطت ، وهـو بانتظـار الخـلاص الـذي لـم يـأتِ، وأمـا الجُـرح فهـو قـديم ومتأصـل ؛ فهـو طبيعـة حتميـة للخيبـاتِ المتلاحقـة لوطنـهِ العـراق فالشـاعر جـزء لايتحزأ من وطنه حتى وأن غيبه المنفى وهذا ما نجدهُ في قصيدتهِ (برازخ النار) : [١٢] (من الرمل)

وألقي السعفة الخضراء ، عن عنقي، وجذعاً.

أتناسى النخلَ،

أو ابني بديلاً من سياج أو قفص

وأسمي نخلةً هذا العمودْ. "؛

جاءني النخلُ

ناشراً روحي لسعفٍ فاختهْ ؛

ثم حطتْ فوق شباكي عصافير الجليدْ:

" لايواسيكَ بما أنت مصابٌ،

نهرُ (لورنس)،

ولا السرو،

ارجع التمرَ لنخلكْ."

فعلى الرغم من جمال المهجر الكندي بسروه وأنهاره ، وجنائنه، فضلاً عن أسراب الطيور غير قادرة على ملئ الفراغ الروحي الذي يعاني منه الشاعر [١٣]، وليس لمثله أن ينسى تربة درج عليها الشاعر، ونخلة استظل بها، ونهراً ارتوى منه، "وليس لشيء من أشياء العالم الغربي أن يُنسيه شيئاً قديماً كان له"[١٤]، ولم تغنهُ عن الحنين إلى بلده وهو يستنطق النخله، ويشكو إليها الهموم ، ويعبأ رمزية النخيل بين أضلاع قصائده؛ لمّا تشكله هذه الرمزية من مكانة مهمة فهي رمز الشموخ ولها منزلة كبرى في شعرنا العربي عامة والعراقي خاصة، " وعلى هذا فإن محبة الأوطان ظاهرةٌ كونية عامة، تستدعيها العاطفة والعقل معاً، تتمثل العاطفة بارتباط الإنسان بجذوره، وتاريخه، وتوقه الدائم للماضي بكل مافيه من جمال وما يختزنه من ذكرياتٍ، وأحلام، أما على مستوى العقل: فهو وفاءٌ تستلزمه الأخلاق النبيلة، والمبادئ السامية؛ لأنه شعور يربط الفرد بالجماعة، ويجعله يدور في فلكها، ويخلص لها"[١٥].

يستمر الشاعر في شكواه ومثل ذلك نجد قوله في قصيدة (فقاعات الظلام) في نفس المجموعة يقول :[١٦]

يقول رفيقي القديم:

"نضجنا بهذي المنافي."

أقولُ:

" مُسخنا بهذي المنافي."

فالشاعر يعبر عن الشكوى بالرمز (مُسخ) الدال على تغيير الحاله وقبح الصورة، ودليل الضعف والهزل ، وهذا حاله في المنافي " فأقْذَر الناس تعبيراً عن الشقاء، من كان في الشقاء نفسه" [١٧].

تستمر أجواء الغربة مسيطرةً على حاله وقصائده إذ يتمادى هذا الشعور على عبدالإله الياسري إذ يقول في قصيدته (أيها اللصوص):[١٨] (من الوافر)

بحسبي مالقيتُ وما ألاقي من المنفى ومن وطني العراقِ

ففي المكانينِ لم يجد الراحة، لافي العراق ولا في المنفى، فالحزن واليأس واضحان في القصيدة، وهنا تعبير شعري صادق من الشاعر فهو يكابد الأم في وطنه سابقاً وفي منفاه حاضراً، فيقول في نفس القصيدة:

أصدُّ الثلجَ مُغتربــاً بكفٍ وبالأخرى أصدُّ لظى اشتياقي

وما أدري أبردُ الثلجِ أذوى ربيعاً فيَّ أم حرُّ احتراقــي؟

هما الموتانِ: موتٌ من مُقامٍ بلا حُــبٍّ وموتٌ من فــراقِ

وظف الشاعر رمزية (الثلج) في الغربة رمزاً للوحدة، ولظى أشتياقه للشكوى والحنين، أي انه يكابد الغربة والحنين وحيداً بكفيَّ، ووظف الشاعر الياسري التضاد(برد، حر) فالأولى رمز للغربة، والثانية رمزاً للشوق، ثم يعلل سبب كل هذا الالم بقوله:

فلا للكأس في كندا نديمٌ ولا للكأسِ في بغدادَ ساقي

نجدُ الحزن والتشاؤم مسيطرانِ على القصيدة ، ونظرةٌ سوداء للواقع الذي جعلهُ بين نار البعد عن الوطن ، ونار الواقع المرير ، وتأتي رمزية (الموت) لتعبر عن مرارة البعد وقسوة الحياة فتصبح ثنائية (البعد، التلاقي) سياً في نظر الشاعر والاتضاد متشابهاً، فهو حتى في بلده يعاني الوحدة(اللاحب) كما حاله الآن في المنفى :

أعاني في المكانينِ اغترابا

ومثل ذلك نجد في قصيدته (الشاعر الحريب) يقول :[١٩]

يتساوى العيدُ في المنفى وحزني

فما أدري أأبكي أم أغني؟

أرى الأيام قد صارت سهاماً

وصرتُ لرميها مثل المجن

رموز الشكوى وتوظيفها واضح في القصيدة نحو (الحزن-البكاء- السهام) حيث يتساوى العيد والحزن في عين الشاعر ، ولم يكتف بالشكوى بل يُصعد خلال القصيدة معاتباً بمرارة مع الصدق وحرارة الانفعال، مما جعل القصيدة خالية من الترف الشعري لأعتماده على الصدق وعرض الحال ومرارة الإنفعال ، فيكشف بها عن معاناة النفس في ظل واقع متردي يعيشه الشاعر عن طريق لغتها السلسة ومعانيها السامية وجماليتها التي تأسر المتلقي.، فالحياة أصبحت (سهام) وقد وظف هذا الرمز ليكون رمزاً للمصائب

يطالعنا الشاعر الياسري بقصيدةٍ أخرى يتكلم بها بلسان الإنسان الذي فارق الأهل وأصبح يعاني من الغربة، وأيّ غربة؟! إنها غربة الروح والمكان بعد فراقهم يقول:[٢٠]

أجهشتُ سكوتاً في الظلماء (من المتدارك)

من جرح الطين وجرح الماء

يبدأ الشاعر قصيدته بالمفارقة والمفارقة: "تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين بينهما نوع من التناقض"[٢١]، فهي من النصوص الإبداعية التي تساهم في جذب الانتباه، وجعل المتلقين يستسلمون تلقائيا وينشغلون بما تريد هذه النصوص إيصاله من معنى في ظلِ احتوائها على التوتر الدلالي، والتضاد في المعاني، وتمثل المفارقة رؤية للعالم من خلال تضاد وتناقض ما يأمله الإنسان مع الراهن الحالي (أجهشتُ سكوتاً)، ثم أراد برمزية (جرح الطين، جرح الماء) فالأولى جرحه، والثانية جرح غربته.

ما أغربَ صوتي، في زمن الصمت!

ماأغربني!

ما أضيعني نخلاً بين ضبابٍ وبحارْ!

ففي قوله(صوتي) رمز أراد به نفسه ككل، أي أنه الغريب في زمن السكوت عما يجري في وطنه.

قد مزق أشرعتي الإعصارْ

أبحثُ عن مرفأ.

يؤوي سفني.

يحميها من أشباحٍ تتبعني.

هل أبقى الملاحَ التائه حتى موتي؟

استعمل الشاعر لفظة(أشرعتي) والمراد بها نفسه ايضاً، الغريبة، المهجرة، المنتقلة من بلدٍ لأخر، الباحثةُ عن (مرفأ) وهذا الرمز وظفه الشاعر والمراد به الوطن الذي يؤيه، فهو يتسائل هل يبقى طول العمر مهجرا تائها بين المنافي. حتى يقول في ذات القصيدة:

جوعان بلا أهلٍ، وبلا دارْ

فالغربة أصبحت غربتينِ (الزمان والمكان) فكل شيء أصبح غريباً، من خلال توظيفه رموز (السكوت، الجرح، الغربة، ضباب، بحار، الاعصار)، وجميع هذه الرموز تدل على الشكوى والضياع والحيرة فهنا يكون شعر الحنين " نوعاً من الفرار من الواقع الأليم"[٢١]، ومعبرة عن المعانات في الوقت ذاته، وبدأت عند الشاعر معركة مقاومة الذوبان في منفاه الجديد الغريب.

وفي نص أخر ليس ببعيد في المعنى عما سبق، ايضاً نجد الشاعر قد رمز لنفسه (بالنخلة) ليعبرَ عن نفسه بالشموخ والعلو، لكنه اليوم بين ضباب وبحار المنافي ممزق الأشرعة من أعصار الزمن يبحثُ عن مكان يؤويه ويحميه من أشباح تلاحقه ، واراد أن يعبر عن حجم المعاناة عندما كان مُلاحقاً في وطنه، فشبح الخوف لازال يطارده حتى في منفاه ومن ذلك نجده يقول :[٢٣] (من الكامل)

وأفقتُ مذعوراً على صور النخيلْ.

تمتد نحوي كالبنادق كالرماح

فصرختُ صمتاً: هل رجعتُ إلى العراق؟

إن رمز (النخلة) وظفه الشاعر(للوطن) لكن هذه النخلة بدلاً من أن يفيء بظلها ويفتخر بعلوها، وتكون هدفاً للعلو والسمو، وجدها تمتد عليه كالرماح تحاربه، تقاتله، تهجرهُ، تطاردهُ، ثم يقول في ذات القصيدة:

ضاقت بأقدامي الدروبْ

فكرتُ فعلاً بالهروبْ

وعلا صياحْ

-:"مراكشُ..."

فتنفستْ رئتي الهواء

وأعيد نبضي للدماءْ

ونزلتُ وحدي جائعاً وسط لجياع

أنا والحقيبة والضياعء.

لقد وظف الشاعر الرموز الصريحة (الذعر، الصراخ، البنادق، الهروب، الضياع) لتدلَ على خوف الشاعر وقلقه، ولتكون خير معبر عن معاناته وشكواه مستذكراً بها ماعاشه في العراق ، والشاعر لايقصد العراق كبلد وأنما السلطة الحاكمة في حينها التي حكمت الناس بالنارِ والحديد.

إن الشاعر الياسري تنبأ بالغربة والمنفى وما آلت إليه الأمور حتى عندما كان في العراق، هذا مانجده في الكثير من قصائده التي نظمها في العراق، منها مجموعته الشعرية (جذور الفجر) رغم أن كل قصائد المجموعة كتبها قبل هجرته عن العراق، إلاّ أن قضية الرحيل كانت تراود الشاعر من خلال قصائد المجموعة، فالشاعر كان يقدم إشارات على رفضه وشكواه الواقع من أستبداد السلطة الحكومية أو السلطات الأجتماعية ، فقد صرح عن هذا من خلال الإهداء في مقدمة المجموعة حيث يقول :

إن غربة الإنسان في وطنه ، تأتي من الشعور بفقدان الحرية، وعدم قدرته على التعبير عن وجوده ذاتاً أو نوعاً أو فكراً ، فهذه القصائد لكل غريب في وطنه محاصر بالسكوتِ أو الموت [٢٤]، فهي قصائد ترفض الواقع بكل أشكاله القمعية سياسياً وأجتماعياً، وعقائدياً.

يقول في قصيدة (الإرادة):[٢٥] (من الرجز)

أريدُ أن أحترقْ.

أريدُ أن أكون وهج جمرةٍ لن تنطفي بالماءْ

أريد أن ينهمر الغيثُ من الحجر.

أريدُ أن يحترق المطر.

أريدُ أن يغتسل العالمُ بالحريقْ.

إن تكرار الفعل (أريدُ) يأتي من أضطراب الذات الشاعرة ، وماتكرار الفعل إلاّ نتيجة تلك المآسي التي يعانيها الشاعر، ولمّا يراه من استبداد السلطة ، فمن خلال توظيف رموز الشكوى الطاغية على النص أراد الشاعر أن يبين أنه ثائر على كل شيء رافضاً له،واقفاً بوجه الكل أنذاك من حكام وأضطهادات مختلفة.

ومثل ذلك مانجده في قصيدته (الإختيار) حيث يقول :[٢٦] (من الرمل)

إنني أخرجُ من غمدِ السكوتْ.

إنني أخلع جلبابَ الرمادْ.

إنني أنفض أوراق الثلوج.

إنني أوقد مصباح الدماءْ.

إنني اغرسُ صوتيْ.

فاقتلوني واقفاً كالنخل في وجه الرياحْ.

واقفاً إني أموتْ.

نجد أفعال الثورة والرفض عند الشاعر نحو (أخرج، أخلع، أنفض، اوقد، أغرس) فلقد أستطاع توظيفها ليعبر عن ألم الشاعر ومحنته ومكابداتهِ، فجاءتِ في أكثر من موضع فقد بث سيلاً من الألم والحسرة والشكوى.

ويستمر في بث شكواه واحزانه حتى يبلغَ قمة التفجع والحزن في قصيدته (قافلة الأحزان)[٢٧] التي ألقاها الشاعر في المهرجان الشعري الذي أقامته (كلية الآداب) سنة(١٩٧١م) رداً على مقال نشرتهُ جريدة الثورة (جريدة النظام السابق) تحت عنوان (الأدب يحتضر في كلية الآداب)[٢٨]، حيث دعت الكلية كل من تجد فيه الكفاءة لإنجاح المهرجان ، وكان من ضمنهم الشاعر عبدالإله الياسري.

حضر المهرجان نائب رئيس الجمهورية وقتذاك (صالح مهدي عماش) مع جمهور المتذوقين للشعر وأساتذة الجامعات العراقية وطلابها.

وألقى الياسري قصيدته (قافلة الأحزان) التي يقول في مطلعها : [٢٩]

حملتُ شراع الموتِ في صمت آلامي وأرضعتُ من ثدي التباريح أعوامي

يذكر الياسري أنه لم يخطر في بالي أن أرضي رئيس الجمهورية الذي حضر بدلا منه نائبه الفريق صالح مهدي عماش،ولا عميد الكلية وأساتذتها،ولارئيس الإتحاد الوطني لطلبة العراق،ولا أعضاء اللجنة الثقافية في الكلية،ولا كبار مسؤولي الدولة،ولا غيرهم؛ وأنما كنت أفكر جادا في أن أرضي ضميري ووجداني،وفي أن أرضي بصوتي من لاصوت لهم في العراق،ومن بعد ليكن الثمن مايكون[٣٠]، بعد المطلع يقول:

حملتُ دموعَ الأرضِ في جفن لوعتي وخضبتُ في جرح الملايين أنغامي

أنا المغرمُ الهيمان شعبي حبيبتي وأنفاسه لحني،وعيناه إلحاني

وهذان البيتان كافيان لإبلاغ السلطة بإعلان مذهبه الإنساني الذي يحفل بحزن الأرض وعذاب أهلها أجمعين، وبمذهب الياسري الوطني الذي يتجاوز حبه فيه جنسه العربي إلى جميع الأجناس التي يتكون منها الشعب العراقي أيضاً، وكلا المذهبين هما أعم وأشمل من المذهب القومي الذي يطرحه (حزب البعث) الحاكم في العراق ومابين هذين البيتين المخالفين لإيديولوجية السلطة أبيات اضطربت لإنشادها قاعة ساطع الحصري، فلقد تمرد الياسري بهذه القصيدة في عدة وجوه منها أنه :

أولا – ألمح إلى التفاوت الطبقي بين الأغنياء والفقراء في العراق أمام سلطة سياسية تؤكد في ثالوث شعارها الحزبي مبدأ (الإشتراكية).

ثانيا – ألمح إلى أن العراق البلد الزراعي الممراع أخذ يتصحر وبدأ المواطن السخي يفتقر ويجوع في ظل سياسة هذه السلطة إذ يقول:

أنا القمحُ والنخلُ العراقي أنحني جفافاً، وأهوي جانب الشاطئ الطامي

أنا القريةُ الخضراءُ قحطٌ أذلني فأطفأتُ فانوسي وأخفيتُ إكرامي

ثالثاً – ألمح إلى خيبة أمل الطالب الجامعي المقيد نشاطه الثقافي بأغلال سلطة تدعي (الحرية) بل كانت الحرية هي المبدأ الثاني في ثالوث شعارها الحزبي المرفوع انذاك للناس،ولكن ممارستها اليومية تؤكد القمع والإستبداد حتى الموت فيقول:

أنا الظمأ المهموم ألهث حاملاً على ظهري المسبيِّ تابوت أحلامي

فلا فرسي يعدو فأنقذ رايتي ولاحـربتي تـُردي ولاساعـدي رام

وها أنـا، يابغداد،جئتك ميتـا قفي واخطي الحناء بالدمع النهامـي

بعد ختام المهرجان أثنى نائب الرئيس على القصيدة التي حصدت المركز الثاني في المهرجان، وقدم هدية خاصة للياسري.

لكن يبدو الجو الحماسي وماخلفته القصيدة ، والتجاوب من قبل الجمهور دفع عميد الكلية محمود غناوي الزهيري إلى ارتقاء المنصة قائلاً " هذا الشاعر وأهم ومغرر به..نحن نعيش في ظل الثورة بخير وعافية"[٣١]، وبقوله هذا أراد العميد أن يثبت براءته من القصيدة وشاعرها أمام نائب رئيس الجمهورية وقتذاك.

لقد كشفت القصيدة عن عمق الحزن والألم العراقي الدفين، وأنتقل في كثير من مواضعها من التلميح إلى الرمز الصريح، ويلتقي فيها الشأن الخاصّ بالشأن العامّ حتّى يصيرا شأناً واحداً؛ ينطلقُ ممّا هو ماثل أملاً بما سيجيء [٣٢].

في قصيدة أخرى في المجموعة الشعرية ذاتها نجد قصيدته (الضياع)[٣٣] مليئة بالحزن الذي لايفارقه، فقد أظهرت كل ما أخفى وما لم يخفْ من فيض عواطف وصدق أفكار، يقول في مطلعها : [٣٤]

(من البسيط)

ملّتْ من النغم المحزون نایاتي وأتعبت فَرَسَ الأحرانِ آهاتي

من الواضح أن قافية القصيدة عززت الاصداء الايقاعية الحزينة ، فالقارئ يتحسس مسالك الحزن التي صبت في بناء النص ، ثم هذا الحزن يرافق الشاعر كظله فهوى كالأفعى يمتص مسرات الشاعر :

أنا المغرِّدُ والآلام تأكلني والحـــزنُ يمتصُّ كالأفعى مسراتي

ثم يعبر الشاعر أن همومه وأحزانه ليست ذاتية ، وأنما هي هموم الشعب باسره :

وأقتفي الشمسُ والأشباحُ قافلتي ودمعةُ الشعب يابغدادُ رايـــــاتـي

آهٍ ، وعينيكِ، مامسَّ الندى يبسي يوماً ولا اخضوضرت بشراً وريقاتي

من هنا يمكن القول أن معاناته الخاصة الظاهرة في هذه الأبيات،هي في دلالتها العميقة معاناة الناس جميعاً، ولكنها تفجرت شعراً حزيناً على لسانه، وربما كانت هذه القصيدة دون ما كنان يجد من ألم وما يشعر به بإزاء عذاب الناس، ولم تكن إلا تمهيدا لمعاناته الإنسانية المشتركة بينه وبين الناس في العراق، والتي ظهرت تلميحاً مرة وتصريحاً مرة أخرى، وباشكال مختلفة، في قصائد مختلفة.

ثم يخاطب الياسري حبيبته بغداد يقول :

مُدي ضفافك يابغدادُ ، واحتضني قلبي إليكِ فإن المـــــــوج بيْ آتِ

ماتدل عليه هذه القصيدة، أن المحبوبة ليست امرأة ذات معنى حقيقي مثل ليلى التي ورد اسمها في قصيدته (ماأحلاها)، وإنما هي مدينة اسمها بغداد، وقد استعملها في معناها المجازي لا الحقيقي لتشمل العراق كله في المفهوم البياني البلاغي، وقد يبدو (الموج بي آتِ) غامضاً وهو تلميح أبلغ من التصريح بما سيحل ببلده العراق من مصاعب ومأس [٣٥].

ثم يورد لنا الشاعر صور بلاغية تجمع صور الحزن المعبرة :

ضاعت ملامحُ وجعي كيف أبصرها تهشمت بصخورِ الهمِّ مر آتي

فـي نهايـة القصـيدة لايسـتبعد الشـاعر موتـه بـين لحظـة وأخـرى بـل يتوقـع أن بدنـه سـيفنى عـاجلاً ، ولكنه سيحيا بأشعاره التي ستخلد اسمه عالياً راوية للحزن ماعاناه الشاعر في حياته، حيث يقول :

وإن أمت ويخب الرمل زقزتي وتطمر الحفرة السوداء غاباتي

ستترك اسمي للسمارِ اغنيةً وللحزاني ستروي دور مأساتي

الخاتمة :

نجـد بنـاء-علـى ماتقـدم- أن شـعر الشـكوى والحنـين شـكل علامـة فارقـة فـي موضـوعات الرمـز لـدى الشـاعر عبـد الإلـه الياسـري، ووجـدنا أن هـذه الموضـوعات قـد تطـرق لهـا الشـاعر منـذ بـواكير شـعره كمـا ذكرنـا فـي مجموعتـه الشـعرية (جـذور الفجـر) التـي كتبهـا الشـاعر فـي العـراق، قبـل منفـاه، فقـد شـكى الواقـع المسـتبد للسـلطة الحكوميـة، والاسـتبداد الاجتمـاعي الـذي عـانى منـه الشـاعر، كانـت تـدل الكثيـر مـن أشـعارها على معاناة الشاعر، كان يعيش الغربة في بلده، يشعر بماسيصل إليه الحال فيما بعد.

شـكلت أشـعاره فـي المنفـى حنينـا تـارة، ورعبـا وخوفـا مـن اشـباح السـلطة تـارة أخـرى، ولـم تفارقـه الشـكوى حتـى فـي المنـافي، لمّـا يعـاني منـه مـن شـوق وحنـين لبلـده الـذي لـم يغـب عنـه، فهـو لـم يعشـق غيـر العـراق ولـم يـرق لـه كـل جمـال الطبيعـة -ولاسـيما الكنديـة منهـا- عـن الحنـين للعـراق، فكـان الحنـين إلـى العراق على مستوى الزمان والمكان، بما يحمل من وجع وتفجع بسبب الفراق.

الهوامش

١.ينظر: شعر أبي الحجاج يوسف الثالث ملك غرناطة(دراسة موضوعية فنية)(رسالة ماجستير)، شريف عبد الحليم محمد، جامعة المدينة العلمية، كلية اللغات، قسم الأدب العربي، ماليزيا، ٢٠١٤م : ٦٦

٢.ينظر: شعر إبراهيم الباوي دراسة موضوعية فنية(رسالة ماجستير)، حيدر حسن جابر، بإشراف الدكتور كريم حسن، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، قسم اللغة العربية، بغداد، ٢٠١٤م : ٨٦

٣.المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي(٤٨٤هـ-٨٩٧هـ)، د: محمد عويدالطربولي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م : ٢٧٠

٤.في لغة الادب وأدب اللغة،د.إبراهيم خليل،دار مجدلاوي للنشروالتوزيع، عمان، الاردن، ط١ ٢٠٠٨م: ٩

٥.أشرعة بلا مرفأ : ١٧

٦.ينظر : أشرعة بلا مرفأ : ١٥

٧.رماد الشعر،دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، د. عبد الكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١ ، ١٩٨٨م: ٢٠٣

٨.رغم الثلج والرماد: ١٧-١٨

٩.رغم الثلج والرماد:١٨

١٠.رغم الثلج والرماد: ٢٠

١١.ينظر: البعد الوطني في شعر عبدالإله الياسري، د.وليد العرفي، صحيفة المثقف، العدد ٥٠٣٥، التاريخ ٢٠٢٠/٦/١٨ ، مقال الكتروني عبر الرابط : https://www.almothaqaf.com/b/nesos2019

١٢.جرح ومنفى : ٩-١٠

١٣.ينظر : مرارة النأي عن النخل ،رحمن خضير عباس،الحوار المتمدن-العدد: ٣٤٢٦ – ٢٠١١/٧/١٤ المحور: الادب والفن https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=26723
١٤.مقالات في الأدب والثقافة، د. سعيد عدنان ، الناشر جامعة الكوفة،سلسلة دراسات فكرية، ط١، بيروت_ لبنان، ٢٠١٨م،٧٤

١٥.النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، فصل سالم العيسى(د.ط)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦م : ٨١
١٦.جرح ومنفى: ٤١
١٧.فن الشعر.أرسطو،ترجمة وشرح وتحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة،بيروت،لبنان،ط٣ ، ١٩٧٣م: ٤٨
١٨.رغم الثلج والرماد: ٤٥-٤٦
١٩.لم تنشر بديوان ، نشرت في صحيفة المثقف ،العدد ٥٠١٩، التاريخ ٢٠٢٠/٦/٢ عبر الرابط https://www.almothaqaf.com/b/nesos2019

٢٠.أشرعة بلا مرفأ : ٦٥-٦٦
٢١.عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد: ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط٥، ٢٠٠٨م: ١٣٠.

٢٢.الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، د.ماهر حسين فهمي،معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة،(د.ط) ، ١٩٧٠م : ١١٨
٢٣.أشرعة بلا مرفأ : ٨٣-٨٤
٢٤.ينظر : جذور الفجر، عبدالإله الياسري :٧
٢٥.المصدر نفسه : ١١
٢٦.جذور الفجر : ١٤-١٥
٢٧.نشرت في مجلة(عشتار) استراليا،العدد(١٧) سنة (١٩٩٦م) ، ونشرت ايضا في مجلة(المنار) سنة(١٩٩٢م) السويد.
٢٨.ينظر: عبدالإله الياسري وقوافل أحزانه .د.فاخر جاسم، صحيفة الحوار المتمدن-العدد: ٣٦٠٢ – ٢٠١٢/١/٩ ، (مقال الكتروني) عبر الرابط: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=290908

٢٩.جذور الفجر : ٧٧-٧٩
٣٠.تواصل شخصي مع الشاعر
٣١.ينظر:عبدالإله الياسري وقوافل أحزانه .د.فاخر جاسم، صحيفة الحوار المتمدن-العدد: ٣٦٠٢ – ٢٠١٢/١/٩، (مقال الكتروني) عبر الرابط: https://www.ahewar.org

٣٢.ينظر: مقالات في الأدب والثقافة : ٧٣
٣٣.ألقيت في قاعة الحصري ، كلية التربية، في المهرجان الشعريالسنوي المقام سنة(١٩٦٩م) في بغداد.
٣٤.جذور الفجر : ٩١
٣٥.ينظر : بين تائيتين-الجزء الثالث، خالد جواد شبيل، (مقالة الكترونية) عبر الرابط https://www.alnoor.se/araticle.asp?aid=114124

المصادر والمراجع

١.أشرعة بلا مرفأ ، شعر ، عبد الإله الياسري ، دار الصادق الثقافية للطباعة والنشر ، العراق ، ط ١ ، ٢٠١٦ م .

٢.البعد الوطني في شعر عبدالإله الياسري، د.وليد العرفي، صحيفة المثقف، العدد ٥٠٣٥، التاريخ ٢٠٢٠/٦/١٨ ، مقال الكتروني عبر الرابط : https://www.almothaqaf.com/b/nesos2019

٣.بين تائيتين-الجزء الثالث، خالد جواد شبيل، (مقالة الكترونية) عبر الرابط https://www.alnoor.se/araticle.asp?aid=114124

٤.جذور الفجر ، شعر ، عبد الإله الياسري ، دار الصادق الثقافية للطباعة والنشر ، العراق ، ط ١ ، ٢٠١٢ م .

٥.جرح ومنفى ، شعر ، عبد الإله الياسري ، دار الرواد للطباعة والنشر ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .

٦.الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، د.ماهر حسين فهمي،معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة،(د.ط) ، ١٩٧٠م.

٧.رغم الثلج والرماد ، شعر ، عبد الإله الياسري ، دار الصادق الثقافية للطباعة والنشر ، العراق ، ط ١ ، ٢٠١٧ م .

٨.رماد الشعر،دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، د. عبد الكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١ ، ١٩٨٨م.

٩.شعر إبراهيم الباوي دراسة موضوعية فنية(رسالة ماجستير)، حيدر حسن جابر، بإشراف الدكتور كريم حسن، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، قسم اللغة العربية، بغداد، ٢٠١٤م .

١٠.شعر أبي الحجاج يوسف الثالث ملك غرناطة(دراسة موضوعية فنية)(رسالة ماجستير)، شريف عبد الحليم محمد، جامعة المدينة العلمية، كلية اللغات، قسم الأدب العربي، ماليزيا، ٢٠١٤م .

١١.عبدالإله الياسري وقوافل أحزانه .د.فاخر جاسم، صحيفة الحوار المتمدن-العدد: ٣٦٠٢ – ٢٠١٢/١/٩ ، (مقال الكتروني) عبر الرابط: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=290908

١٢.عبدالإله الياسري وقوافل أحزانه .د.فاخر جاسم، صحيفة الحوار المتمدن-العدد: ٣٦٠٢ – ٢٠١٢/١/٩، (مقال الكتروني) عبر الرابط: https://www.ahewar.org

١٣.عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد: ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط٥، ٢٠٠٨م: ١٣٠.

١٤.فن الشعر.أرسطو،ترجمة وشرح وتحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة،بيروت،لبنان،ط٣ ، ١٩٧٣م: ٤٨

١٥.في لغة الادب وأدب اللغة،د.إبراهيم خليل،دار مجدلاوي للنشروالتوزيع، عمان، الاردن، ط١ ٢٠٠٨م.

١٦.قصيدة (الشاعر الحريب)، عبدالإله الياسري، لم تنشر بديوان ، نشرت في صحيفة المثقف ،العدد ٥٠١٩، التاريخ ٢٠٢٠/٦/٢ عبر الرابط https://www.almothaqaf.com/b/nesos2019

١٧.مرارة النأي عن النخل ،رحمن خضير عباس،الحوار المتمدن-العدد: ٣٤٢٦ – ٢٠١١/٧/١٤ المحور: الادب والفن https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=26723

١٨.مقالات في الأدب والثقافة، د. سعيد عدنان ، الناشر جامعة الكوفة،سلسلة دراسات فكرية، ط١، بيروت_ لبنان، ٢٠١٨م.

١٩.المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي(٤٨٤هـ-٨٩٧هـ)، د: محمد عويدالطربولي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م .
٢٠.النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، فصل سالم العيسى(د.ط)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦م .